تلخيص كتاب:

«البناء العقدي للجيل الصاعد»

للشيخ أحمد يوسف السيد

مصطفى ابرواي

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الأول: مقدمات عقدية منهجية:

أولا: تعريف العقيدة:

كل ما عقد الإنسان قلبه عليه فهو عقيدة، لذلك فالعقيدة الإسلامية هي: "الإيمان الجازم المؤكد بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وبكل ما أخبر الله ورسوله عنه من تحليل الحلال وتحريم الحرام وأمور الغيب وأصول الإسلام".

ثانيا: الفرق بين العقيدة الإسلامية والعقائد الأخرى:

1) امتلاك الأدلة الواضحة على صحة عقيدة الإسلام دون العقائد الأخرى:

نحن نعلم مثلا أن القرآن كتاب الإسلام، والإنجيل كتاب النصارى، والتوراة كتاب اليهود، فالذي يميز كتابنا عن تلك الكتب أنه ثابت ثبوتا قطعيا بكل آياته وسوره بالتواتر جيلا عن جيل مع اتصال السند إلى النبي ﷺ، والكتب الأخرى تفتقد لهذه المنهجية الدقيقة في إثبات صحة كتبهم إلى أنبيائهم، ونجد انقطاع كبير في السند والاتصال.

2) البرهان الذاتي (أي مضمون القرآن ودلالته على صحة الإسلام بعكس الكتب الأخرى):

فيمكن أن نستدل على صحة القرآن بمضمونه بغض النظر عن الأدلة الأخرى، يقول صاحب النبأ العظيم: "هذا الكتاب الكريم يأبى بطبيعته أن يكون من صنع البشر، وينادي بلسان حاله أنه رسالة القضاء والقدر، حتى إنه لو وُجد ملقًى في صحراء لأيقن الناظر فيه أن ليس من هذه الأرض منبعه ومنبته، وإنما كان من أفق السماء مطلعه ومهبطه".

أما الكتب الأخرى فمليئة بالتناقضات، مثال ذلك: تكلم الإنجيل عن إحدى الشخصيات في موضعين، الأول ذُكر فيه أن عمره 22 سنة، والثاني أن عمره 42 سنة، وبرر النصارى هذا الخطأ ببساطة بأنه سهو من الناسخ فأخطأ! بالله عليك كيف ستثق بكتاب هذا حاله؟!

3) وضوح العقيدة وموافقتها للعقل والفطرة:

كيف تؤمن بدين النصارى الذي يجعل الله الواحد ثلاثة في الوقت نفسه؟! أو تؤمن بدين اليهودي الذي وصف الخالق بأبشع الأوصاف المنافية للألوهية، فقد جاء في كتابهم على سبيل المثال أن الله أخذ

يبحث عن آدم بعد أن اختبأ في الجنة حيث أكل من الشجرة وينادي الله أين أنت يا آدم!!! تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

قارن هذا مع صفات الرحمن في القرآن، ستجد الشفاء والعظمة والكمال والوضوح والبهاء والجلال والجمال، اقرأ إن شئت أعظم آية في القرآن؛ آية الكرسي، أو اقرأ أعظم سورة في القرآن، سورة التوحيد والإخلاص، وستجد صفات والكمال وتنزيه الخلق عن النقصان.

ثالثا: الفائدة المترتبة على وجود العقيدة الصحيحة الثابتة:

1) **سعادة العبودية لله**: ففي الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، فلا نعيم ولا لذة ولا ابتهاج ولا كمال إلا بمعرفة الله ومحبته والأنس به والطمأنينة بذكره والفرح والابتهاج بقربه والشوق إلى لقائه والإقبال عليه... فهذه جنة المؤمن العاجلة!

2) **الصبر على مصائب الدنيا**: حين تكون حدود الإنسان عالية سماوية تتطلع إلى عرش الرحمن ومصاحبة الرسول العدنان، فإن تأثير المصائب الدنيوية عليه سيبقى محدودا، عكس من علق قلبه بمال أو حبيب، فإنه ينهار بفقدهما لأن حدوده متعلقة بأشياء محدودة.

3) **معرفة النفس والخالق والغاية**: أن يعرف الإنسان من هو؟ ومن خلقه؟ وإلى أين المصير؟ وهذه الأسئلة مع سهولتها في ظل العقيدة الإسلامية الصحيحة إلا أنها من أصعب الأسئلة على من لم يمتلك هذه العقيدة، كالملاحدة.

4) **ضبط الأخلاق**: إن الذي يؤمن بالله إيمانا جازما بأن الله سيحاسبه على كل أقواله وأفعاله، ويحاسبه على نيته وقصده، فلا ريب أنه سيضبط تصرفاته خوفا من ربه، بينما يقل الوازع عند غير المؤمن فلا يحسب تصرفاته، فمن سيمنع الملحد من النهب والسرقة والقتل؟؟ إن قلت القانون فكثير من هؤلاء يستطيع تجاوز القانون! وإن قلت الخجل الاجتماعي فهم قادرون على التستر والرياء!!

قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾ [الماعون: 1-2].

القسم الثاني: أركان العقيدة والإيمان:

الركن الأول: الإيمان بالله:

الإيمان بالله تعالى يقتضي منا توحيده ﷻ في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

أولا: الربوبية:

أي توحيد الله تعالى بأفعاله في الخلق والملك والتدبير، أي أن نعتقد جزما وقطعا أن الله ﷻ هو الخالق لكل شيء، وهو مالك كل شيء، وأنه مدبر كل شيء بحكمته ﷻ.

❋ دلالة الفطرة على وجود الله:

إثبات وجود الله تعالى أمر فطري عقلي لا يحتاج إلى كثير وقت أو جهد لإدراكه، فهو قائم على مبدأ عقلي أجمع الناس عليه، وهو الاستدلال بالأثر على المؤثر، وهذا المبدأ يعتمده الملاحدة في كل شؤون حياتهم إلا في باب الألوهية!

هذا إذا نظرنا لمجرد وجود الإنسان بعد العدم، فكيف إذا نظرنا إلى إتقانه وحسن قوامه ودقيق كونه وعجيب تكوينه؟!

وتدل الفطرة على وجود الخالق من ثلاث جهات:

1) هناك معارف أولية ضرورية حاصلة لكل البشر لم يتعلموها في مدرسة أو جامعة، بل ولدت معهم وغرزت في عقولهم، كمعرفة أن لكل حادث محدث، وأن الجزء أصغر من الكل... وإذا نظر الإنسان إلى مخلوقات الله وعجيب إتقانه أدرك حدوث ذلك كله، ولا بد لكل حادث من محدث، وهذا دليل على وجود الخالق! ثم هذه الغرائز نفسها من أودعها في الإنسان، أليس خالقه؟!

2) ضرورة الافتقار والتعبد والحاجة إلى الخالق سبحانه لجلب النفع ودفع الضر، سيما عند الشدائد، لذلك نجد الأمم كلها من قديم الزمان لها أماكن عبادة، يعبدون آلهتهم ليجلبوا لهم النفع أو يدفعوا عنهم الضر، وهذا دليل على أن الإنسان مفطور على عبادة خالقه، غير أن بيئة الإنسان قد تساهم في تشويش الغاية الصحيحة، فبدل أن يتوجه للإله الحق؛ يتوجه إلى آلهة باطلة، لذلك نرى أن الرسل لما بعثوا إلى أقوامهم لم يكن محور رسالتهم إثبات وجود الخالق، لأن الأمم تقر بذلك في الجملة، وإنما بعثوا ليدعوا الناس إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة والتخلص مما سواه.

3) الغرائز والأخلاق، ذلك أننا نرى في الإنسان والحيوان غرائز فطرية غير مكتسبة، وإنما أودعها الخالق سبحانه، فأنت تشاهد الطفل عند ولادته كيف يتجه لثدي أمه ويمصه ليستخرج منه اللبن، فمن هداه إلى ذلك؟! وغريزة ميل الجنسين أحدهما إلى الآخر، وغريزة النكاح، وحب الولد...

ومن الغرائز التي أودعت في الإنسان أيضا: القيم والأخلاق الفاضلة، كاستحسان الصدق والعدل، واستبشاع الظلم والقتل وتعذيب الأطفال... فكل ذلك لا يمكن تفسيره بالعبثية والعشوائية، كلا، بل هو من صنع حكيم مدبر ﷻ، فهو الذي خلق النفس وألهمها فجورها وتقواها.

ثانيا: الألوهية:

وتوحيد الألوهية هو توحيد الله تعالى بأفعال العباد، أي توحيد الله تعالى بالتعبد، بألا يُعبد إلا هو، ولا يُسجد إلا له، ولا يستغاث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه... فإن كان توحيد الربوبية إفراد الله تعالى بالملك والخلق والتدبير؛ فإن توحيد الألوهية هو إفراد الله تعالى بالعبادة، وتوحيد الألوهية مستلزم لتوحيد الربوبية، فمن آمن بأن الله خالقه ومالكه ومدبر أمره؛ كان لزاما أن يعبده، ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ۝٩٢﴾ [الأنبياء: 92].

والعبادة مفهوم عام لا يقتصر على الركوع والسجود والصوم... بل هي محبة وذل وانقياد لله تعالى، هي تسليم للخالق، فللعبودية في الإسلام جمال وجلال يوقف الإنسان على شاطئ الكون مندهشا بأنوار الحقائق الكبرى، وإن عدم تذوق جمالية التعبد والخضوع والمحبة لله سبحانه لمن أكبر أسباب التأثر بالشبهات المثارة ضد وجوده وكماله سبحانه، ومن ثم الوصول إلى الإلحاد والإنكار!

انظر كتاب جمالية الدين لفريد الأنصاري لتعرج بقلبك إلى حياة الروح!

ثالثا: الأسماء والصفات

1) **معاني الأسماء الحسنى:** من المهم إدراك معاني أسماء الله الحسنى لأنها تعرفنا بالله تعالى ونتعبده بها، ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: 180]، والأنبياء إنما كانوا يدعون الله بأسمائه الحسنى بعدما أدركوا معانيها وهم أعلم الناس بالله، فلنتأس بهم.

2) **حفظ الأسماء الحسنى وإحصائها:** ولنحرص أيضا على حفظ هذه الأسماء والوقوف على معانيها ففيها خير كثير، وهي حبل الوصل بالجنة لمن ابتغاه!

3) **الاختلاف بين المذاهب في تأويل الأسماء والصفات:** بعد أن تمت ترجمة الفلسفة والثقافة اليونانية أخذ الكلام في الأسماء والصفات منحى جدليا عند كثير من الطوائف الإسلامية، فصار أول ما

يقفز إلى الذهن إذا ذكر باب الأسماء والصفات هو الخلافات العقدية الجدلية الواقعة بين الطوائف الإسلامية! ولعمري هذا مخالف للمقصد الشرعي الذي لأجله ذكرت الأسماء والصفات، والنبي ﷺ وأصحابه كانوا يتعاملون مع هذا الباب بمبدأ التعظيم والتسليم كما يتعاملون مع سائر نصوص القرآن، ولم يكونوا يتكلفون في معانيها أشياء من غير ما يدل عليه كلام العرب، فالقرآن جاء ليعرف الناس بخالقهم لا ليضع الألغاز والأحجيات في العقيدة ليأتي المتأخرون فيحاولوا حلها.

لذلك وجب علينا التعامل مع هذه النصوص بالتعظيم والتسليم وعدم التكلف في إدراك معاني أخرى، فمثلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222]، نفهم من الآية ما فهمه الصحابة وبلغوه، إثبات المحبة لله، وهي محبة تليق بجلال الله، لا يشبهه فيها أحد، وهذا هو المعنى العربي الواضح الموافق للشريعة! وهكذا نتعامل مع سائر نصوص الأسماء والصفات، فنثبت لله ما أثبت لنفسه مع الاعتراف بأننا لا ندرك كيفية هذه الأسماء والصفات، لأن الله أعظم من أن يحيط أحد بحقيقة ذاته وأسمائه وصفاته.

❋ من ثمرات التوحيد التعلق بالله وحده وعندما التعلق بالخرافات:

إذا آمن الإنسان بأن الله هو الخالق المالك المدبّر المتصف بكل صفات العزة والكمال والعظمة، ثم آمن به إلها واحدا؛ فإن هذا يدفعه إلى عدم التعلق بالبشر، سواء أكانوا أحياء أم أمواتا، لأن الله هو القادر على إغاثة اللهفان، وإجابة السائل الحيران!

ويستثنى الإغاثة بالإنسان القادر المستطيع في بعض أمور الدنيا، فهذا يدخل في باب الأخذ بالأسباب المشروعة.

الركن الثاني: الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة يدخل في باب الإيمان بالغيب، ونحن نؤمن بالملائكة لأننا آمنا بالله تعالى.

والملائكة هم خلق من خلق الله وجند من جنوده، كثير عددهم لا يحصيهم إلا الله، مخلوقون من نور، لهم أجنحة متفاوتة العدد، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له أكثر من ذلك، لا يأكلون ولا يشربون، يسبحون بالليل والنهار ولا يفترون، يستغفرون للمومنين ويدعون لهم، يتتبعون مجالس الذكر ويحضرونها ويتزاحمون عليها، يحضرون صلاة المومنين ويشهدونها ويُؤَمّنون مع الإمام إذا أمّن، منهم من كلف بإنزال

الوحي، منهم من يقبض الأرواح، منهم كتبة أقوال وفعال الناس، منهم من يحمل عرش الرحمن، ومنهم المبشرين المومنين عند الموت!

الركن الثالث: الإيمان بالكتب:

1) شمولية الإسلام:

من شمولية الإسلام وتميزه على ما سواه أنه يجعلك تصطلح مع كل رسل الله وكتبه، ليس كبقية الأديان، بل إن الإسلام بريء منك إن لم تؤمن بكل الأنبياء والرسل وكتبهم! قارن هذا بضيق الأفق الذي تجده في باقي الأديان، يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، لذلك عبر أحد العائدين إلى الإسلام من النصرانية بتعبير جميل واصفا الحالة الشمولية للإسلام قائلا: "ربحت محمدا ولم أخسر المسيح".

2) كيفية الإيمان بالكتب:

يكون ذلك أولا بالتصديق المجمل، أي الإيمان بأن الله تعالى أنزل كتبا على رسله وأنبيائه. ثم التصديق المفصل ثانيا، أي التصديق بتفاصيل ما أخبر الله به عن تلك الكتب في القرآن، من أسمائها وما يتعلق بها من حفظ أو تحريف....

3) إعجاز القرآن:

القرآن خاتم الكتب، حفظه الله من التحريف، وهو معجزة النبي ﷺ إلى الناس كافة، تحدى به النبي قومه وهم أرباب الفصاحة والبيان، وحتى نستحضر عظمة التحدي نستحضر المعطيات التالية:

❋ نوع الخصوم: عرب أقحاح، بضاعتهم البيان، وميدانهم اللغة والفصاحة.

❋ عددهم: لا يُحصى، لأن التحدي كان عاما لهم ولأنصارهم، بل وحتى للجِن الذين معهم.

❋ صيغة التحدي: قوية واضحة مستفزة للطرف الآخر، فلو كان قادرا فلا يمكنه ألا يجيب.

❋ الإغراء: لو استطعتم الإتيان بسورة مثل القرآن ينتهي الإسلام وتنتصرون أنتم.

❋ المحفزات: لا تحتاجون إلى قتال ولا إلى سفك دماء ولا إجراء معارك وحروب، فقط تكلموا بألسنتكم وائتوا بمثله!

❋ مما يزيد التحدي استفزازا لهم: إخبارهم بأنهم لن يستطيعوا البتة أن يكسبوا هذا التحدي، وأن من الخير لهم أن يتقوا النار عوضا عن ذلك.

❋ النتيجة: عجز العرب، وانتصار القرآن، وشموخ الإسلام!

قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ٢٤﴾، قال محمد دراز رحمه الله في كتابه الرائع «النبأ العظيم» معلقا على الآية: "فانظر أي إلهاب وأي استفزاز، لقد أجهز عليهم بالحكم البات المؤبد في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾، ثم هددهم بالنار، ثم سواهم بالأحجار، فلعمري لو كان فيهم لسان يتحرك لما صمتوا عن منافسته وهم الأعداء الألداء وأباة الضيم الأعزاء، لقد أصاب منهم موضع عزتهم وفخارهم، ولكنهم لم يجدوا ثغرة ينفذون منها إلى معارضته، ولا سُلّما يصعدون به إلى مزاحمته، بل وجدوا أنفسهم منه أمام طود شامخ، فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا، حتى إذا استيأسوا من قدرتهم واستيقنوا عجزهم؛ ما كان جوابهم إلا أن ركبوا متن الحتوف، واستنطقوا السيوف بدل الحروف، وتلك هي الحيلة التي يلجأ إليها كل مغلوب في الحجة والبرهان، وكل من لا يستطيع دفعا عن نفسه بالقلم واللسان!".

الركن الرابع: الإيمان بالرسل:

1) كيفية الإيمان بالرسل:

يكون ذلك أولا بالتصديق المجمل، أي الإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلا إلى الناس، ثم التصديق المفصل، أي التصديق بتفاصيل ما أخبر الله به عن تلك الرسل في القرآن من أسمائهم وصفاتهم وكتبهم...

2) أصناف المكذبين بالرسل:

❋ الملحدون: النقاش مع هؤلاء يكون إثبات وجود الله تعالى لا في تفاصيل النبوة.

❋ الربوبيون: يؤمنون بوجود الخالق وينكرون الأديان، وهؤلاء يكون معهم النقاش في بيان أهمية النبوة وضرورتها وتوافقها مع الحكمة الإلهية.

❋ أصحاب الأديان: هؤلاء يؤمنون ببعض الأنبياء ويكفرون بآخرين، والكلام معهم في إثبات النبوة.

3) دين الأنبياء وشرائعهم:

يخبرنا القرآن الكريم بأن الأنبياء كلهم مسلمين، أديانهم قائمة على التوحيد، لكن شرائعهم مختلفة، فلكل جعل الله شرعة ومنهاجا، والنبي ﷺ بعث مصدقا للأنبياء قبله، وشريعته ناسخة لكل الشرائع السابقة.

4) دلائل النبوة:

النبوة خبر من الأخبار، والمخبر إما أن يكون صادقا أو كاذبا، وتمييز الصادق من الكاذب في الأمور العادية سهل جدا، فكيف إن كان الأمر في أمر عظيم جلل كالنبوة؟! لا شك أن الأمر أيسر. يقول ابن

أبي العز: "النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين. ويقول ابن تيمية: "ومعلوم أن مدعي الرسالة إما أن يكون من أفضل الخلق وأكملهم، وإما أن يكون من أنقص الخلق وأرذلهم، فكيف يشتبه أفضل الخلق وأكملهم بأنقص الخلق وأرذلهم؟! وما من أحد يدعي النبوة من الكاذبين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز، وما من أحد ادعى النبوة من الصادقين إلا وقد ظهر عليه من العلم والصدق والبر وأنواع الخيرات ما ظهر لمن له أدنى تمييز".

❋ بعض دلائل النبوة:

- **الكمال الأخلاقي**: كالصدق والأمانة، فقد شهد له قومه بذلك، ومن المواقف الدالة على ذلك: موقف وضع الحجر الأسود في الكعبة، ووقوفه ﷺ بالصفا ليبلغ دين الله (ما جربنا عليك كذبا)، وموقف أبي سفيان مع هرقل لما قال له: هل تتهمونه بالكذب؟ قال: لا. وكذا تسليم أمانات المشركين قبل الهجرة، وتبليغ الآيات التي فيها عتاب الله له، وتبليغ حادثة الإفك التي كانت شديدة عليه، وغير ذلك كثير...

- **الآيات الحسية**: أعظمها عجز العرب عن معارضة الكتاب الذي جاء به، ونبع الماء من بين أصابعه، والشفاء بريقه وبمسحة يده، تكثير الطعام بين يديه، انشقاق القمر.

- **الأخبار الغيبية**: كالإخبار بدخول مكة؛ ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح: 27]، والإخبار بمقتل قادة مؤتة، الإخبار بمقتل عمار بن ياسر على يد الفئة الباغية، والإخبار بخروج الخوارج، والإخبار بأن الحسن بن علي سيصلح فئتين من المسلمين، والإخبار بفتح فارس واليمن، وبعض علامات الساعة كالتي ذكرت في حديث جبريل، وغير ذلك كثير...

- **القرآن الكريم**: الإعجاز القرآني والأخبار الغيبية والعلوم العالية.

- **أخبار الكتب السابقة**: فالكتب السابقة فيها بشارة بالنبي ﷺ وبعض أخلاقه وصفاته، منها أنه لا ينطق عن الهوى.

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر

1) لحظة الموت والانتقال للدار الآخرة:

يبدأ اليوم الآخر بالنسبة للإنسان عند لحظة موته، عند هذه اللحظة العظيمة، إما يبشر المرء بنعيم مقيم، وإما بجحيم آليم؛ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ

بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ۝٣٠﴾ [فصلت: 30]، ويقول تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ۝٩٣﴾ [الأنعام: 93].

2) القبر؛ فتنته ونعيمه وعذابه:

الموت ليس النهاية، بل هو البداية للحياة الخالدة الأبدية، فبعد أن يوضع الإنسان في قبره يتعرض للسؤال والامتحان من قِبل ملكين أمرهما الله بذلك، وكل سيجيب بحسب سيره في الحياة الدنيا، وبناء على جوابه سيعيش الحياة البرزخية، إما نعيم ونور وفسحة ونافذة إلى الجنة، وإما جحيم وظلام وضيق ونافذة إلى النار!

ويتمنى الإنسان في قبره لو يجد بصيص أمل لأي شيء، فيتمنى أن يكون قد ترك علما ينتفع به، أو صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، وهنا ندرك أهمية مشروع الولد الصالح!

3) النفخ في الصور:

بعد رحلة طويلة في البرزخ ينفخ في الصور نفخة تصم الآذان، لذلك سميت بالصاخة، فيخرج الناس من قبورهم، وهذه النفخة الثانية، أما الأولى فهي نفخة يصعق بها من في السماوات ومن في الأرض، فيموت كل من بقي به رمق حياة في هذه الدنيا؛ ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ۝٦٨﴾ [الزمر: 68].

4) البعث والنشور:

يخرج الناس من القبور شاخصة أبصارهم، حفاة عراة غرلا، بلغت قلوبهم الحناجر من هول ذلك اليوم، وكل شيء مختلف في ذلك اليوم، فالأرض غير الأرض، والنجوم متناثرة، والسماء منشقة، والبحار مشتعلة، والجبال الرواسي مفتتة كأنها عهن منفوش، ويفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، لأن لكل واحد منهم شأنه الذي يغنيه، ثم يسمعون الداعي الذي سيقودهم إلى ساحة الحشر، فيسيرون خلفه كأنهم جراد منتشر، ثم يبرزون للواحد القهار، فيجمع كل الخلق في ساحة الحشر من لدن آدم إلى نهاية الدنيا، فيقومون قياما طويلا في موقع صعب، وتدنو الشمس، ويشتد الحر، فيكثر العرق!

5) الآمنون من الفزع الأكبر:

في ذلك المقام العظيم تفيء ثلة من الناس إلى ظل يظلهم الله به بعيدا عن هذه الشدة، قال النبي ﷺ كما جاء في البخاري: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله؛ اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه".

6) الحوض:

في ذلك الموقف الشديد هناك موعد شريف للمؤمنين مع خير خلق الله، ألا وهو موعد لقاء الحبيب المصطفى ﷺ على الحوض.

وحوض النبي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وطعمه ألذ من العسل، من شرب منه لا يظمأ أبدا.

7) طلب الشفاعة لبدء الحساب:

نعود إلى المشهد العظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين، فإن الناس عندما يطول بهم القيام ويبلغ بهم الكرب مبلغا لا يطيقونه يلتفتون باحثين عمن يشفع لهم إلى ربهم ليبدأ الحساب، فيعلمون حينذاك أن أسيادهم وكبرائهم في الدنيا لن يشفعوا لهم، وأن الحظ الأوفر للأنبياء، فيقصدون نبيا نبيا راجين منه الشفاعة، فأبوا جميعا ذلك والكل ينادي نفسي نفسي لأن الله في ذلك اليوم غضب غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، إلا الحبيب ﷺ الذي يتوجه لتحت عرش الرحمن فيقع لربه ساجدا ويأذن له الرحمن بالشفاعة.

8) بدء الحساب والقضاء بين الناس وعرض الأعمال والموازين والصحف:

يأتي الله تعالى بعد شفاعة النبي ليقضي بين العباد، ويؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، فيراها الخلق أجمعون رأي العين!

يحاسب الله البشر فردا فردا، يكلمه ربه دون ترجمان، والحساب منه اليسير وهو العرض، وهناك الحساب العسير وفيه تعرض الأعمال وتناقش، ومن ناقش الرحمن ختم على فيه وأنطق جوارحه لتشهد عليه، وبعد

ذلك توضع الموازين، فتوزن أعمال العباد ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ۝٩﴾ [الأعراف: 8-9].

ويفاجأ الإنسان يومئذ بأن كل أعماله مبثوثة صغيرها وكبيرها، وعند ذلك يعطى الإنسان كتابه، فإن أخذه بيمينه فيا لسعده وهنائه وفلاحه وفوزه! ينطلق فرحا مسرورا مناديا ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَـٰبِيَهْ۝١٩﴾، وإن أعطيه بشماله فقد خسر خسرانا مبينا ويقول: ﴿يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ۝٢٦ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ۝٢٧ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ۝٢٩﴾، ثم يؤخذ بأهل النار إلى النار نسأل الله العافية!

9) الصراط:

بعد ساحة الحشر، وبعد أن يلقى بأهل النار فيها، وفي الطريق إلى الجنة؛ يجتاز البقية من فوق الصراط، وهو آخر تصفية وغربلة قبل دخول الجنان، والصراط هو جسر مضروب على جهنم، يمر الناس فوقه كل بحسب عمله، فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر مر السحاب، ومنهم من يمر كالطير، ومنهم من يمر كالخيل، فناج مسلم، وناج مخدوش، ومكدوس في النار! وكلام النبي ﷺ يومئذ: رب سلم سلم!

10) الشفاعة في الخروج من النار:

الشفاعة يوم القيامة لا تكون إلا بإذن الله، وهي شفاعة خاصة بالموحدين، وأما من لم يكن موحدا فلا تنفعه الشفاعة.

الله تعالى سيخرج من النار من في قلبه خير من أهل التوحيد ممن استحقوا النار بذنوبهم، يخرجهم من النار ويدخلهم الجنة برحمته، وهذه الشفاعة ليست خاصة للنبي، بل هي لكثير من المومنين، وأما الخاصة به ﷺ -وهي المقام المحمود الذي وعده- فهي للأمم كلها في الفصل والقضاء بعد طول الموقف.

وهنا يأتي شيء من أثر الصحبة الصالحة في الدنيا، فإنهم يشفعون لأصدقائهم ومعارفهم من أهل التوحيد، وهكذا يشفع النبيئون والملائكة والمومنون، وتبقى شفاعة الجبار، فيخرج برحمته أقواما من النار ويلقون في نهر بأفواه الجنة، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيدخلون الجنة، ويقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن، أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه!

11) دخول الجنة:

وأخيرا يدخل المومنون دارهم التي وعدوا، جنة الرحمن التي أعدها الله لعباده المومنين، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر! قال الرحمن: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ١٧﴾ [السجدة: 17].

وهنا في الجنان يستمتع أهل الإيمان بالخيرات الحسان، ويستلذون بملذاتها، ثم يقول الرحمن: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ فيكشف الرب ﷻ عن حجابه فيراه المومنون رأي العين، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ! قال سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: 26].

12) جهنم:

للطغاة والعصاة نار السموم يوم القيامة، وهي ليست نار عادية بل حرارتها مضاعفة وقعرها بعيد، وتفضل على نار الدنيا بتسعة وستين جزءا، تبدل فيها الجلود كلما نضجت، ويتمنى من فيها الموت، ولكن هيهات هيهات! فلا مجيب لهم ولا مغيث، ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم وياله من خسارة! فاللهم سلم سلم.

الركن السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره

1) لا يقدر الله شرا محضا:

فشر القدر قد يكون بالنسبة لمن وقع عليه القدر، لا أنه شر خالص من كل الجهات، فقد يقدر سبحانه شيئا ظاهره شر محض وباطنه خير عظيم، فكم من المرات حرسنا على أشياء لظننا بأنها خير لنا، ثم ما لبث الزمان أن أنبأنا بأن الأمر كان شرا محضا، ولله الحكمة البالغة في قدره، فقد يصاب أحدنا بفقد حبيب أو قريب، فيظن أن هذا شرا خالصا، بينما هو في تقدير الله له معان كثيرة، منها الابتلاء، ومنها تكفير الذنوب، ومنها رفع الدرجات، ومنها العقوبة وغير ذلك، فلا يصح لإنسان محدود العلم أن يعترض على قدر ربه.

2) كيف نكون مؤمنين بالقدر؟

أول شيء أن نؤمن بأنه لا يحدث شيء في هذه الدنيا إلا وقد قدره الله تعالى وكتبه قبل خلق السموات والأرض.

ثم بعد ذلك هناك مقامان تجاه ما يؤلمنا من الأقدار:

الأول: الصبر، وهو واجب، أي يجب علينا منع النفس عن التسخط والجزع، وعن شق الجيوب ولطم الخدود، وحلق الرؤوس ونتف الشعور...

الثاني: الرضا، وهذا مقام أعلى وأجل، وهو مبني على تفويض الأمر لله، والتسليم له بأن قدره كله خير.

وفي كلا الحالتين لا يكون دمع العين وحزن القلب معارضا لهما، فهما من الرحمة التي جعلها الله في قلوب عباده.

3) ثمرات الإيمان بالقدر:

من ثمرات الإيمان بالقدر الصبر على المصائب والكوارث، لأن المومن يعتقد أن المصيبة مقدرة، فلا يستطيع مغالبة القدر، ويؤمن بأنه سيجازى على صبره في الدنيا والآخرة، ويؤمن أنه سيدخل الجنة وينسى كل بؤس وشقاء مر به، وهذا ما يعين المومن على صبره، ويبعث في قلبه السكينة والطمأنينة، لذا قال النبي ﷺ: "عجبا لأمر المومن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا المومن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرا له".

وإذا تحققت الآثار السابقة من اليقين والرضا والطمأنينة؛ فإن المومن ولو حزن أو تألم لمصيبة فإنه لا يفقد صوابه، ولا يطيش ويرتكب حماقات كما يصنع أرباب الدنيا الذين لا يومنون بالقدر، بل أحيانا يقبلون على الانتحار بسبب مصيبة دنيوية زائلة!

4) أنواع كتابة الأقدار:

- الأقدار الشاملة لمقادير الخلائق: وهي في اللوح المحفوظ ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾.
- الأقدار المتعلقة بكل سنة: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ٤﴾ أي في ليلة القدر.
- كتابة أقدار الأجنة في بطون أمهاتهم: جاء في الحديث: "... ثمَّ يُرْسَلُ إلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بأرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أوْ سَعِيد".

5) هل يصح الاحتجاج بالقدر على الذنوب؟

لا يصح لأحد أن يبرر انحرافه ومعصيته بالقدر، لأن الإنسان له إرادة حقيقية يستطيع الاختيار بها، وهي الإرادة التي لأجلها خلق الله الجنة والنار وأرسل الرسل بالحجج والبينات، وإلا فما فائدة إرسال الرسل وإقامة الحجج؟!

وأما حديث: احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فقال النبي ﷺ: فحج آدم موسى، فحج آدم موسى" أي غلب آدم موسى في الحجة. فهنا آدم احتج بالقضاء على المصيبة وليس على المعصية، والمصيبة هي الخروج من الجنة، أما المعصية فهي من إرادة آدم، لذلك قال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ٢٣﴾ [الأعراف: 23].

6) من الأمور المعينة على الصبر والرضا بالقدر:

- تذكر عاقبة الصابرين: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ١٥٧﴾.
- تذكر محبة الله للصابرين: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ١٤٦﴾.
- الفهم التام بأن الجزع لا يفيد، وأن السخط وبال يضيق الصدر ويكدر الخاطر، ويزيد الذنوب، ولا يرد شيئا، بل سيضر نفسه.

القسم الثالث: ما يضاد الإيمان ويناقضه

1) فوائد معرفة ما يضاد الإيمان:

- ليحذرها ويتجنبها، فمن لم يعرف الشر قد يقع فيه، عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه.
- ليزداد بصيرة في معالم الإيمان وحدوده، وبضدها تتميز الأشياء.

وهذا ما يجعل المومن ملتزما بالايمان على بصيرة، ومجتنبا ما يضاده عن علم وفهم وإرادة.

2) الكفر والشرك والنفاق:

عندما نقرأ كتاب الله ويمر علينا ذكر النفاق والشرك والكفر فإننا نتخيل أشياء في غاية البعد عنا، ولا نظن أننا مهددون يوما من الأيام بتلك الأوصاف، وذلك لجهلنا بكثير من تفاصيلها.

فهذه الأوصاف الثلاثة هي درجات، فهناك الكفر الأكبر والكفر الأصغر، وهناك الشرك الأصغر والشرك الأكبر، وهناك النفاق الأصغر والنفاق الأكبر، والأصغر من هذه الأسماء ليس خاصا بالكفار، بل قد يقع فيه المسلمون، والصغير من هذه الأشياء يقود تدريجيا إلى كبيرها، فالرياء شرك أصغر، والكذب وإخلاف الوعد نفاقا أصغر وهكذا... لذلك الصحابة مع كل ما لديهم من تقوى وعمل كانوا يخافون على أنفسهم من النفاق، فهذا عمر يسأل حذيفة هل سماه له النبي مع زمرة المنافقين!!!

أ) أنواع الكفر:

❋ **كفر أكبر:** هو الموجب للخلود في النار، وهو خمسة أنواع:

- كفر تكذيب: كاعتقاد كذب الرسل.
- كفر إباء واستكبار: ككفر إبليس، ويدخل فيه كل من علم الحق وأبى أن يتبعه، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ﴾.
- كفر إعراض: كمن يعرض بقلبه وسمعه عن الرسول، لا هو يصدقه ولا يكذبه، لا يواليه ولا يعاديه.
- كفر شك: كمن يشك في رسل الله أو كلام الله، وإذا نظر في الآيات والأفاق زال شكه لا محالة، لأنها مستلزمة للصدق.
- كفر نفاق: كمن يظهر الإيمان ويبطن الكفر.

❋ **كفر أصغر:** موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود، ومنه الطعن بالنسب والنياحة...

ب) أنواع الشرك:

❊ الشرك الأكبر: كاتخاذ آلهة أندادا من دون الله، أو تسوية آلهة المشركين برب العالمين! وهذا لا يغفر إلا بالتوبة.

❊ الشرك الأصغر: كيسير الرياء، والتصنع للخلق، والحلف بغير الله...

ج) أنواع النفاق:

النفاق أمره عظيم، ويكون خفيا عن الناس، بل قد يخفى حتى على من تلبس به، فيظن نفسه مصلحا وهو مفسد! وينقسم إلى قسمين:

❊ النفاق الأكبر: يوجب الخلود في النار في دركها الأسفل، وهو إظهار الإيمان وإبطان الكفر، ومنه أيضا كما نص على ذلك ابن تيمية: من يظهر تكذيب الرسول أو جحود بعض ما جاء به، أو بغضه، أو المساءة بظهور دينه، أو المسرة بانخفاض دينه! وكذا الذي لا يرى وجوب تصديق أو طاعة الرسول.

❊ النفاق الأصغر: راجع إلى اختلاف الظاهر والباطن في بعض الأعمال، من علاماته: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر.

والحمد لله رب العالمين

فهرس الموضوعات